﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ [الإسراء: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

حشرُ أصحابِ الشمالِ في أسوأ حالٍ

لمّا ذَكَرَ حالَ النّاس في الآخرة، وذَكَر القسمَ الأوّل منهم، وهم مَن أوتوا كتابَهم باليمين؛ عُلِمَ أنَّ القسمَ الآخرَ بضدِّ ذلك يُؤتى كتابَه بالشّمال، فاستُغْنيَ عن ذِكر ذلك، وأُتيَ له بصِلَةٍ أخرى لبيانِ حُكم آخرَ من أحواله الفظيعة في ذلك اليوم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعۡمَىٰ﴾: (عمي) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على سَتْرٍ وتَغْطيَةٍ، وأَعْمى: اسْمٌ على وزْنِ (أَفْعَلَ)، مَأْخوذٌ مِن العَمى، والعَمَى: ذَهابُ البَصَرِ كُلِّه، ولا يَقَعُ العَمَى إلّا على العَيْنَيْنِ جَميعًا، يُقال: عَميَ يَعْمَى عَمًى فهو أَعْمَى: إذا فَقَدَ بَصَرَهُ فَلا يَرَى شَيْئًا[2]، ويُطلَق على فَقْدِ البَصيرَة، وهي إدْراكُ القَلْبِ، يُقال: عَميَ فُلانٌ؛ أيْ: ضَلَّ عن رُشْدِه، وعَميَ عليه طريقُهُ؛ أيْ: خَفيَ، والجَمْعُ: عُميانٌ وعُميٌ، والأُنْثى: عَمياءُ[3]، والمُرادُ بالعَمَى في الآية: ما يَنْشأُ عن العَمَى من الحَيْرَةِ واضْطِرابِ البالِ، ووصْفُ ﴿أَعۡمَىٰ﴾ في المَرَّتَيْنِ مُرادٌ بِهِ مُجَرَّدُ الوصْفِ لا التَّفْضيلُ[4].

2) ﴿وَأَضَلُّ﴾: أصلُ (ضلل) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وذَهابِهِ في غَيْرِ حَقِّهِ[5]، والضَّلالُ: الغَيْبوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، وضلَّ الكافِرُ: غابَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 169.
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عمي).
(3) الجوهريُّ، الصّحاح، وابن سِيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (عمي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 170.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ضلّ).

عن الحُجَّة[1]، والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والمَيْلُ عنِ الطَّريقِ، يُقالُ: ضَلَّ فلانٌ يَضِلُّ ضَلالًا: انحرفَ وضاعَ ولم يهتد[2]، ورجلٌ مُضَلَّل؛ أيْ: لا يوفَّق لخيرٍ[3]، وضِدُّه: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ، والمقصود بالضَّلالِ في الآيةِ: الحَيْرَةُ في الطَّريقِ وعَدَمُ الاهْتِداءِ[4].

3) ﴿سَبِيلًا﴾: (سبل) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على إرسالِ شَيءٍ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفْلٍ، وعلى امتدادِ شَيءٍ، فالأَوَّلُ مِنْ قيلِكَ: أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، إذا أَرْخَيتَه، وأمّا الثّاني: فالمُمتَدُّ طولًا: السَّبيلُ وما وضَحَ مِنْهُ، وهو الطَّريقُ؛ سُمّيَ بِذَلِكَ لِامتِدادِهِ[5]، وجَمعُه: سُبُلٌ[6]، ومنه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]، والمقصودُ بالسَّبيل في الآية: الطَّريق[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مـــآلُ عـمـى القلب في الدّنيا الـحـرمـانُ في الآخرة

يُبيِّنُ الحقُّ تعالى في الآية سوءَ عاقبة مَن أوتي كتابَه بشماله فيقول: ومَن كان في الحياة الدُّنيا أعمى البصيرة عن حُجج الله وبيّناته، وعن كلِّ ما أولاه الخالق جلَّ شأنه مِنْ نِعَمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، فهو في الآخرة أَعمى لا يهتدي إلى ما يُنجيه، ولا يجد ما يُجديه؛ لأَنَّ عَماه في الدُّنيا بإعراضه عن توحيد الله أوجَبَ هذا التَّخبُّطَ في الآخرة والحرمانَ فيها، وعن ابن عبّاس: (ومَنْ كان في هذه النِّعم والآيات الَّتي رأى أَعْمى؛ فهو في الآخرة الَّتي لم يُعاين أعمى وأضلّ سبيلًا)، وقيل: ومَنْ كان في هذه الدُّنيا أَعمى القلب حُشر يوم القيامة أَعمى العين، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 124][8].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عبّاد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (ضلَّ).
(3) الخليل، العين: (ضلَّ).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(6) الخليل، العين، وابن سِيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.
(8) مجمع البحوث الإسلامية، التّفسير الوسيط: 5/ 786.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَمَن﴾:

عطف القَسيم على قَسيمه بالواو

صُدِّرَ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ بحرف (الواو) الدّالَّة على العطف والاقتران، وذلك لأنّ قوله تعالى في هذه الآية معطوفٌ عَطْفَ القسيم على قسيمه في الآية السابقة، فهو من حيِّز (أمّا) التفصيليّة، والتّقدير: (يوم ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم؛ فمَنْ أوتي كتابَهُ بيمينِهِ ... وأمّا مَن كان في هذه أعمى)، ولـمّا كان القسيم المعطوف عليه هم مَنْ أوتوا كتابهم باليمين عُلم أنَّ المعطوف بضدّ ذلك يُؤتى كتابه بالشِّمال؛ فاستُغني عن ذِكْر ذلك، وأُتيَ له بصِلَةٍ أخرى وهي كونه أعمى، حكمًا آخرَ من أحواله الفظيعة في ذلك اليوم[1].

فائدة اسم الشرط (مَنْ):

تعليل جزاء الكفّار يوم القيامة

نكتة التّعبير بحرف الشّرط (مَنْ)، وبالجملة الشّرطيّة في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾؛ أنْ يتوقّف وقوع الجواب والجزاء على وقوع فعل الشّرط، فإذا وقع الأوّل وقع الثّاني، وكذلك في هذه الآية فإنّ مَنْ كان في هذه الدّنيا أعمى عن النظر في آيات الله وعِبَرِه ونِعَمِه والإيمان بأنبيائه، وهو فعل الشرط؛ تحقَّقَ فيه جزاء الشَّرط، وهو أن يكون في الآخرة أعمى وأضَلَّ سبيلًا.

دلالة الفعل الماضي ﴿كَانَ﴾:

الكَينونَةُ أَقْوى تَأْكيدًا مِنَ الفِعْلِ

استُعمل فعل الكينونة ﴿كَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ الدّالّ على اقتران مضمون الجملة بالزّمن الماضي، وتقييدُ الفعل بالزّمن لا يدلّ على نَفيِهِ عن غير ذلك الزّمن[2]، فالكافر في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 169.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 531.

دنياه كان أعمى عن النّظر في آيات الله، فَضْلًا عن دلالة ﴿كَانَ﴾ على زيادة اتّصاف الموصوف بالصّفة ورسوخها فيه، فعَمى الكافرِ عن الإيمان صفةٌ راسخةٌ فيه لازَمَتْه طوالَ حياته في الدّنيا.

معنى حرف الجرّ ﴿فِي﴾:

عمى الكافر في الدّنيا سببُ العمى في الآخرة

في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ استُعمِلَ حرفُ الجرّ ﴿فِي﴾، المرتبطُ معناه بمعنى الاسم المجرور به، على تقدير معنى ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ بأنّها الدنيا، فتكون ﴿فِي﴾ دالّةً على الظَّرفيّة الزّمانيّة، فالكافرُ قد عَميَ في زمن الحياة الدّنيا عن الإيمان ولوازمه في حياته الدّنيا، فاستَحَقَّ العمى في الحياة الآخرة.

بلاغة التّعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾:

تحقير دار الدّنيا والتّهوين من شأنها

جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ استِعمالُ اسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، والإشارة بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى معلوم من المقام وهو الدّنيا التي فُعل بهم فيها ما فُعل من فنون التّكريم والتفضيل[1]، وله نظائر في القرآن؛ فقد قال تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ [هود: 99] وقد قال قبلها: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [هود: 60]، والنّكتة البلاغية في ذلك تحقيرُ الحياة الدّنيا ودناءتُها وخِسَّتُها؛ فهي لا تستحقُّ أن تُذكر بالاسم الظاهر، على النقيض من الحياة الآخرة التي أشار إليها بالبعيد تشريفًا لها في قوله: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: 83].

بلاغة تقديم ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ﴾:

تخصيص الدنيا بكونها دار العمل والآخرة دار الجزاء

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾؛ لنكتة بلاغيَّةٍ وهي الاختصاصُ، بمعنى أنّه مَنْ كان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 187، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 170.

في الدّنيا خصوصًا مُعرِضًا عن الإيمان وشُكرِ النِّعَم، فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلًا.

بلاغة الاستعارة في ﴿أَعۡمَىٰ﴾:

تجسيدُ معنى الضلال وإبرازُه في صورة محسوسة

اتّفق العلماء على أنّ العمى المقصودَ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ ليس عمى البصر، والمعنى أنّ النظمَ القرآنيَّ استعارَ لفظَ (العمى) للضَّلالةِ في الدين بجامعِ الحَيْرَةِ واضطرابِ البالِ[1]، والغرضُ البلاغيُّ منها هو تجسيدُ معنى الضلال وإبرازُه في صورة محسوسة.

معنى الفاء في ﴿فَهُوَ﴾ ودلالتُها:

العمى عن الإيمان علّةُ العمى في الآخرة

وقع جواب الشّرط ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ جملةً اسميَّةً؛ فوجب اقترانُها بالفاء[2]، والفاء في جواب الشرط وإن لم تكن عاطفةً، فإن ذلك لا يُخرِجُها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنَّها جاءت لتربطَ جملةً ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها[3]، وهي أيضًا تُفيد التَّعليلَ؛ بمعنى أن ما بعدها مُسبَّبٌ عمّا قبلها، فالعمى في الآخرة وشدّة الضلال فيها سببُه العمى في الدنيا عن الإيمان.

دلالة حرف الجرّ ﴿فِي﴾:

عمى الكافر في زمن الآخرة بسبب العمى في الدنيا

استُعملَ حرفُ الجرّ ﴿فِي﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ للدّلالة على الظرفيَّةِ الزّمانيَّةِ، فالكافرُ الذي عَميَ عن الإيمان ولوازمه في زمنِ الحياةِ الدنيا؛ يُجازى عن ذلك بالعمى في زمن الحياة الآخرة.

معنى اللّام في ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ودلالتها:

إيمان المؤمنين بدار أخرى بعد الموت

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ دالّة على العهد، فالآخرة عند المؤمنين يُعَبَّرُ بها عن النَّشْأَةِ الثّانيَةِ التي يكون فيها الجزاء عن الأعمال، كَما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 169.
(2) ابن مالك، شرح الكافية: 3/ 1596.
(3) الجُرجانيّ، دلائل الإعجاز: 1/ 214.

يُعَبَّرُ بالأولى عن النَّشْأَةِ الأولى وهي دار الدنيا[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [اللَّيل: 13].

بلاغة تقديم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ لنكتةٍ بلاغيَّةٍ وهي الاختصاصُ، بمعنى أنّ جزاءَ عمى الكافر عن الطريق المستقيم في الدّنيا سيكون في الآخرة خصوصًا بأن يَعمى عن طريق الجنّة، وبأن يُحشر أعمى البصر.

تخصيص الآخرة بشدّة عمى الكافرين وضلالهم

دلالة الاختلاف في ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثانية:

ورد لفظ ﴿أَعْمَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ مرّتين، فأمّا ﴿أَعْمَىٰ﴾ الأولى فلا خلافَ أنّ المقصود بها عمى القلب لا عمى البصر، وأمّا قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ففيه قولان:

تنوّع الدلالة بين عمى القلب وعمى البصر

القول الأول: أنّ المراد منه عمى القلب أيضًا، قال مجاهد: فهو في الآخرةِ أعمى عن حُجَّته[2]، فهو لا يهتدي إلى ما يُنْجيه ولا يَظْفَر بما يُجديه؛ لأنَّ العمَى الأولَ موجِبٌ للثاني[3]، وقيل: مَنْ كان في الدنيا أعمى عن إبصار الحق والاعتبار؛ فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

القول الثاني: أن يُحمل العمى الثاني على عمى العين والبصر؛ فمَنْ كان في هذه الدنيا أعمى القلب حُشر يوم القيامة أعمى العين والبصر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: 125] وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97] وهذا العمى زيادة في عقوبتهم والله أعلم[4].

(1) الرّاغب، المُفردات: (أخر).
(2) الثّعالبي، الجواهر الحسان: 3/ 487.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 187.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 377.

الاختلاف الصَّرْفيُّ والقِرائيُّ في ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثانية:

الخلافُ الصَّرْفيُّ في بنية كلمة ﴿أَعْمَىٰ﴾ تابعٌ للخلاف في القراءة، فقد قرأ شعبة - في رواية - وحمزة والكِسائي وخلف: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الموضعين بالإمالة، وقرأ أبو عمرٍو ويعقوب الموضع الأول بالإمالة، والموضعَ الثاني بالفتح، مُغايرًا بين الموضعين، وقرأ الباقون بالفتح في الموضعين، ولورش وجهان: التقليل والفتح[1].

أمال عمى العين وفتح عمى القلب للفرق

فأمّا ﴿أَعْمَىٰ﴾ الأولى؛ فهي صفة مُشبَّهة من العمى، وأمّا ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثانية ففيها قولان، **الأوّل:** أنّها صفة مُشبّهة كـ ﴿أَعْمَىٰ﴾ الأولى؛ أيّ: (مَن كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعِبَرِه والإيمان بأنبيائه؛ فهو في شأن الآخرة أعمى لا يتوجَّه له صوابٌ ولا يَلوح له نُجْحٌ، وهو أعمى عن حُججه).

والقول الثاني: أنَّها اسمُ تفضيلٍ من العمى القلبيّ؛ أيّ: (مَنْ كان في الدنيا أعمى القلب فهو في الآخرة أشدُّ عمًى وحيرةً)؛ لأنه قد باشر الخَيْبة ورأى مخايل العذاب، ويُقوّي هذا التَّأويلَ قولُه عطفًا عليه: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الذي هو (أَفْعَلُ مِنْ كَذا)، والعمى في هذه الآية هو عَمَى القلب[2]، فيقال: ما أشدّ عماه، في عمى العين، و(ما أعماه)، في عمى القلب، لأنّ عمى القلب حمق، ومثله من يقول: (ما أسودَه)، من السّؤدد، لا من سواد اللّون، وما أَحْمَرَه من البلادة كأنّه حمار لا من الحُمرة[3].

وأمّا عن علاقة الإمالة بالميزان الصرفي فقد قال أبو علي الفارسيُّ: "الوجهُ في تصحيح قراءة أبي عَمرٍو أنّ المراد بالأعمى في

(1) ابن الجَزَريّ، النشر: 2/ 43.
(2) الثّعالبيّ، الجواهر الحِسَان: 3/ 487.
(3) ابن خالويه، إعراب القراءات السبع: 1/ 378.

الكلمة الأولى كونه في نفسه أعمى وبهذا التقدير تكون هذه الكلمة تامَّة فتقبل الإمالة، وأمّا في الكلمة الثانية فالمراد من الأعمى أفعلُ التفضيل؛ فكانت بمعنى: (أفعل من)، وبهذا التقدير لا تكون لفظة (أعمى) تامّة فلم تقبل الإمالة، والحاصلُ أن إدخال الإمالة في الأولى دلّ على أنه ليس المُراد أفعل التفضيل، وتركها في الثانية يدلّ على أنّ المُراد منها أفعل التفضيل، ويؤكّد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله: وأضلّ سبيلًا"[1]، وهو تعليل وجيه.

دلالة الواو في ﴿وَأَضَلُّ﴾:

الجمع للكافر بين العمى وشدّة الضلال

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ على قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ بحرف (الواو) الدّالَّة على الجمع والاقتران، فجُمِع للكافر في الآخرة بين العمى والضلال، بمعنى أنّه أبعد عن إدراك الطريق المستقيم؛ لأنّه في الآخرة قد انتهى وقت العمل وفيها الجزاء، أو لأنّ عمى الدنيا قد يُعوَّض بجارحة أخرى كالسّمع واللّمس، أمّا عمى الآخرة؛ فلا يوجد فيه معوّض عن البصر، ولأنّ عمى الدنيا قد تدركه التوبة ففي الزّمان متّسع لها؛ أمّا الآخرة فالعمى فيها لا يُستدرك بتوبة، إنّما زمن الاستدراك في الحياة الدنيا[2].

بلاغة صيغة التفضيل ﴿وَأَضَلُّ﴾:

لا خلاصَ من ضلال الآخرة

اسم التفضيل ﴿وَأَضَلُّ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ مُشتقٌّ من الضلال، ووجهُ التفضيل فيه أنّه لمّا كان وجه الشّبه في أحوال الكافر في الآخرة أقوى منه في حاله في الدنيا؛ أُشير إلى شدّة تلك الحالة بقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ القائم مقامَ صيغة التّفضيل في العمى، وذلك لأنّ عَماه في الدّنيا كان في مُكْنَتِه أن ينجو منه بطلب ما يُرشده إلى السبيل الموصِل من هَدْي

(1) ابن خالَوَيْه، الحُجَّة: 5/ 113.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4429.

الرسول ﷺ والقرآن، مع كونه خليًّا عن لحاق الألم به، وأمّا ضلاله في الآخرة فهو ضلال لا خلاصَ منه، وهو مقارِنٌ للعذاب الدائم، فلا جَرَمَ أنّ كان ضلالُه في الآخرة أَدْخَلَ في حقيقة الضلال وماهيَّتِه[1].

بلاغة الاحتباك في الآية:

الاستدلال بالمذكور على المحذوف

في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ فنٌّ بديعٌ من فنون البلاغة، وهو الاحتباك، وهو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيرُه أو مقابلُه في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيرُه أو مقابلُه في الأوائل[2]، فقد قال تعالى في أصحاب اليمين: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾؛ فأَثبتَ الإيتاءَ باليمين والقراءة أوّلًا دليلًا على حذف ضدِّهما ثانيًا (وهو الإيتاء بالشّمال والاستحياء من القراءة)، وأَثبتَ في قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ العمى ثانيًا دليلًا على حذف ضدِّه أولًا[3] (وهو أنّ أصحاب اليمين مبصِرون للهُدى في الدنيا والآخرة).

بلاغة الإطناب في الآية:

زيادة الألفاظ عن المعاني لمزيد التّفصيل

تضمَّن قولُه تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ إطنابًا مُحدَّدًا في جملة ﴿أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾؛ إذ عَدَل عن لفظ (أشدّ) ونحوه ما يتوسّل به إلى التّفضيل عند تعذّر اشتقاق صيغة (أفعل) ليتأتّى ذِكْر السّبيل، لما في الضّلال عن السّبيل من تمثيل حال العمى وإيضاحه؛ لأن ضلال فاقدِ البصر عن الطّريق في حال السّير أشدّ وقعًا في الإضرار منه وهو قابع بمكانه، فعَدَل عن اللفظ الوجيز إلى التّركيب المطنب لما في الإطناب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 170.
(2) الميداني، البلاغة العربية: 2/ 54.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 479.

من تمثيل الحال وإيضاحه وإفظاعه، وهو إطناب بديع، وقد أُفيدَ بذلك أنّ عماهُ في الداريْن عمى ضلال عن السّبيل الموصِل، ومعنى المفاضلة راجع إلى مفاضلة إحدى حالتيْه على الأخرى في الضّلال وأثره لا إلى حال غيره؛ فالمعنى: وأضلُّ سبيلًا منه في الدنيا[1].

دلالة استعمال لفظ ﴿سَبِيلًا﴾ من حيث الدلالة والتنكير:

ضلال الكفّار في الدنيا والآخرة

نُكِّرَ لفظُ ﴿سَبِيلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾؛ لأنّه وقع تمييزًا يبيّن الإبهامَ الواقعَ في نسبته إلى الضلال، كما يُستفاد من تنكيره العمومُ، فالكافر ضالّ في أيّ سبيل يسلكه في الدّنيا والآخرة، لا جَرَمَ أنّ ضلالَه في سبيل الآخرة أشدُّ لحلولِ العذاب وفواتِ التدارك.

وهو تَمثيلٌ لِحالِ ضَلالِهم بِحالِ الَّذي وقَفَ في فَيْفاءَ لا يَدْري مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ يَسْلُكُ إِلى المَقْصودِ[2].

بلاغة الالتفات في الآيتيْن الكريمتيْن:

جلبُ الانتباه بتنويع أساليب الخطاب

في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ التفاتٌ من ضمير الجمع في ﴿يَقۡرَءُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾ إلى المفرد في: ﴿فَهُوَ﴾ في هذه الآية، وذلك حَملًا على لفظ (من) فهو مفرد، وللتفريق بين حال أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فأصحاب اليمين حزبٌ مجتمعون على شأن جليل كما قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزُّخرف: 67]، وقراءتُهم لكُتُبِهم تكون على وجه الاجتماعِ لا على وجه الانفرادِ[3].

أمّا أصحاب الشّمال – والعياذ بالله – فإنّ كل واحد منهم مُهتمٌّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 170.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 187.

بمصيره، ولا يغني عنه أمثالُه من ألم العذاب شيئًا، قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزخرف: 39].

والالتفات من افتنان العرب في الكلام وحُسْنِ تَصرُّفِهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نُقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الآخرة والقيامة:

القيامة يومٌ من أيّام الآخرة

بين اللفظيْن عموم وخصوص؛ فالآخرةُ صفة لموصوف محذوف تقديره: الدار الآخرة أو الحياة الآخرة، وهي عامّة في كلّ ما يحصل للإنسان بعد موته، أمّا القيامة فالمقصود منها يوم عند الله من أيّام الآخرة، يُحيي فيه الله كلّ الأموات، وتتشقّقُ الأرض عن أجسادهم فيخرجون منها للحساب، فهو يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ولعموم لفظ الآخرة وتضمُّنِه كلَّ ما يحصل للإنسان بعد موته من أحوال التي منها حال عماه المستدامة بسبب ضلاله في الدنيا - أوثِرَ على لفظ القيامة المُحدَّد معناه بيوم القيام والبعث.

السبيل والطريق:

عموم الدلالة في السبيل وكثرة استعمالاتها المجازية

يشترك لفظا (السبيل) و(الطريق) في الدلالة على المسلك، ويفترقان في الاشتقاق: فالسبيل مأخوذ من امتِدادِ الشَّيءِ طولًا؛ وقد سُمّيَ بِذَلِكَ لِامتِدادِهِ[2]، وأمّا (الطريق) فهو (فعيل) بمعنى (مفعول)، يَطرقُه النّاس بأقدامهم.

وقد فَرَّق بعض العلماء بينهما بأنّ السّبيل أعمُّ دلالة من الطّريق، فهو اسم يقع على ما يقع عليه الطّريق، وعلى ما لا يقع عليه الطّريق،

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 1/ 14، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 245.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبيل).

تقول: سبيل الله وطريق الله، وتقول: سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول: طريقك أن تفعل به، ويُراد به سبيل ما يقصده فيُضاف إلى القاصد ويُراد به القصد، كما يمكن التَّفريق بينهما بأنّ السّبيل أغلبُ وقوعًا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يُراد به الخير إلا مُقترنًا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك[1].

ويمكن أن يُقال أيضًا: إنّ السبيل تَرِد في استعمالات مجازية أكثر من الطريق، فيُطلق السبيل على الحيلة نحو قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الشورى: 46]، والحَرَج نحو: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: 41]، والحُجّة نحو: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: 141]، واللّوم والعتاب نحو: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75]، ولعمومِ لفظ السبيل اختير في الآية ليُناسِبَ عمومَ ضلالِ المشرِك في الآخرة.

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 313.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»